بعثة الرسول صلى الله عليه و آله و التغيير الحضاري في الأمة

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(١٦٤/آل عمران)**

هذه الأيام هي أيام مناسبات وذكريات مهمة منها ذكرى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله التي هي مظهر للطهر والنزاهة والعفة والمحبة، بعثة الرسول هي أول انعطافة تاريخية تستهدف العالم كله ، التحول التاريخي والحضاري بعد مولد الرسول صلى الله عليه وآله من أوضح الأمور التي لا تحتاج إلى برهان ، فذلك التحول الفكري والثقافي فمن أمة متخلفة لا تهتم بالمعرفة والثقافة إلى أمتي.

 طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة التحول الذي قلب الأرواح واستهدف الأرواح ، فمن أمة تعيش على التعلي والخوف والرعب إلى أمة الإيثار والتضحية من أجل الغير، كان الناس في زمن الجاهلية يعيشون الخوف وهم في بيوتهم وهم في قيامهم وفي أماكنهم تخافون **"أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ"** من حولكم إلى أمة يكون الأمان هو الأساس فيها ومن يقترب منهم يكون آمنا إنما ذلك من بركات الرسول صلى الله عليه وآله ودعوته وقرآنه.

الدرس المستوحاة من ذكر الرسول كثيرة وكثيرة وقد ذكرنا فيها ومن ضمن ذلك نذكر بعض الأمور:

1. عدم بقاء الأمم وأن لها أجل لكل أمة أجل وما يبيد الأمم وينهي الأمم هو التعدي والظلم والجور فلا تستقيم أمة إذا كانت تتعدى وتظلم ، فإذا رأيت الفتن فإن فيها هلاك الظالمين إذا صار تعدي وتجاوز فإن النتيجة لابد أن تتحول إلى نهاية الظالم.
2. الخير والحق هو المنتصر في أي معركة وأن النصر من الله سبحانه وتعالى بشرط الصدق والإخلاص فإذا أقدمت على شيء وجعلت لله فيه نصيب فإن له من النجاح والبقاء بقدر ما لله فيه من نصيب **"وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا".**
3. كل مسلم يحمل مسؤولية شرعا هي مسؤولية الهداية

هذه عناوين أذكرها وفوائد سريعة كل مسلم يحمل مسؤولية هي مسؤولية الهداية والدعوة للخير قد مر تفصيل وجوب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يجعله بديهيا عند الجميع وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم القيام بهذه الوظيفة تعني سقوط الإنسان وخسارته (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم) من رأى سلطانا جائرا فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله فهو شريك للظلم إذا رأى ظلما أو انحرافا وكان بإمكانه تغييره ولم يغيره، درس في المسؤولية على كل إنسان أن يعيش الإنسان جاهلا في المجتمع بليدا ليس له شيء هذه مخالفة لتعاليم الرسول صلى الله عليه وآله.

1. إن بقاء الأمم إنما يكون ببقاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستمر الأمة إذا كانت فيها صيانة في كل شيء أنت عندك مؤسسة هذه المؤسسة كيف تنجح إذا كان فيها متابعة ومراقبة وإصلاح الخلل ، إذا وجد انحراف في بعض أفراد وبعض الموظفين فكان هناك من يقوم ويصحح الخطر تستمر وتنجح أما إذا تراكمت الأخطاء من غير أن يكون هناك من يتابع ويصلح لابد من السقوط، التعليم الديني من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مستوى الأولاد مهم الذكور على مستوى البنات مهم وإلا يأتي جيل يستهزئ بحضارتك ويستهزئ بتراثك لابد أن يلتفت للجيل الصاعد والأبناء والبنات.
2. ذكر الرسول صلى الله عليه وآله هي من أيام الله تعالى وهي تعطي قوة ودافعا ومحركا وتعطي ثقة بالنفس وثقة بالدين لذلك يجب الاهتمام بها كغيرها من الذكريات المقدسة كما يوجد اهتمام بذكرى الحسين عليه السلام ينبغي أن تكون أيضا هناك أن يكون هناك اهتمام بذكرى الرسول صلى الله عليه وآله وأن يكون هناك استلام من حركة الرسول ودعوته ومنهجه.
3. كون الرسول قدوة وأسوة تعني إمكانية أن يصل الإنسان في أعماله واستقامته كما كان الرسول صلى الله عليه وآله وإن اختلفت قيمة ومستوى العمل ربما يقول أين نحن من عمل الرسول كل يعمل بما يستطيع ويحاول أن يتأسى وإلا لا يمكن الدعوة للتأسي بشيء يكون مستحيلا بالنسبة لك كلام سيد القائد يقول يمكن أن يتأسى الإنسان بالرسول وبعلي وأن يأتي بكل ما كان يأتي به علي عليه السلام وإن اختلفت القيمة لن تستطيع أن تصل لفعل علي بقيمته ولكن بالفعل الخارجي والاستقامة يمكن أن يستقيم الإنسان.
4. حركة الإصلاح

نريد إصلاحا ونتمنى الإصلاح ليس بالإعجاز وإنما بالجهد والإجتهاد والعطاء فالإصلاح ليس إعجازا أهل البيت عليهم السلام إنما جاءوا لإصلاح المجتمع وعانوا ما عانوا من الدعوة والتعدي من الآخرين من غير أن يكون هناك فرض على الناس حتى يكونوا مؤمنين ، النبي صلى الله عليه وآله كم عاداه من عاداه من مشركي قريش وعندما خرج في دعوته إلى الطائف فأغروا به صبيانهم فخرجوا يضربونه بالحجارة حتى سال دمه ووقف جانبا وهو يقول اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، لم يكن بالاعجاز أن يفرض عليه وإنما يجاهد ويحسب له الجهاد.

1. درس الرحمة في الدعوة والجهاد والمعاملة ومن أساسيات دعوة الرسول ومن أهم أسباب نجاح دعوة الرسول درس الرحمة، الرحمة من الرسول صلى الله عليه وآله عامة لكل شيء لكل إنسان قال الله تعالى **"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"** رحمة للعالمين قاطبة يستفيد منه المؤمن وغير المؤمن جميع العوالم والكل يستفيد من دعوة الرسول ومن خيرها في دعوة الرسول وفي معاملته العفو مقدم على العقوبة إذا تعامل مع أحد واختلف معه فإن صار مجال للعفو قل لم العفو **"خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"** إذا كان هناك مجال للعفو العفو مقدم ويقول تعالى **"وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"** الرحمة مقدمة أثرها في الخير وفي الدعوة أكثر من الشدة والغلظة النبي صلى الله عليه وآله يقول في الحديث:« يا أيها الناس إنما أنا رحمة» يعني أنا رحمة خالصة ويقول: « إنما يرحم الله من عباده الرحماء» إذا كنت ترحم الآخرين جعلت نفسك محلا للرحمة وقال صلى الله عليه وآله:« ما من مسلم غرس غرسا وأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة» كل عمل خير إذا نويته لله سبحانه وتعالى كان لك به سواء الرسول صلى الله عليه وآله في تعامله مع من يختلف معه كيف كان والكل يعلم ويعرف يوم فتح مكة ويدخل النبي صلى الله عليه وآله فاتحا ويأسر من قريش الكبار منهم والشيوخ والسادة فيقول ما ترون إني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء، هذه الروح وهذه الأخلاق لم يقل إنهم كفار ويجب تقطيعهم مباشرة وإنما اذهبوا فأنتم الطلقاء، أسر الحرب معززون مكرمون في دولة الرسول صلى الله عليه وآله يختلفون معه وهم أسرى ولكنهم معززون أيضا و قد أسروا في حرب و ليس في غارة أو شيء و إنما في حرب ومواجهة ثم أسروا يبقون معززين مكرمين **"وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا"** أسير يطعم ويقدم له مع أنه أسير هذه الرحمة من فعل الرسول وتعليمات السماء تقبيحه من يبيع الناس كان هناك بيع وشراء للناس الإسلام قبح ذلك ونهى عنه وحبب للقضاء على ذلك فقال النبي صلى الله عليه وآله:« شر الناس من باع الناس» الذي يتعامل في البيع في بيع الناس هو شر الناس تشتري لتعتقه وهو الخير الأخلاق العالية في كل شيء لها أثرها الإيجابي فمن أهم الدروس هي الرحمة والأخلاق المستفادة من أخلاق النبي صلى الله عليه وآله، الأخلاق العالية نأخذها من ذكرى الرسول صلى الله عليه وآله في أخلاقه العالية فقد مدحه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وقال **"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"**على خلق عال عظيم، الأخلاق طهارة للروح وتصفية من كل قبيح ماذا تعني الأخلاق؟

أخلاق سلوك ولكن ليس منفصلا عن الروح إذاً الأخلاق طهارة لروح الإنسان صفاء لروح الإنسان وعكسه الحقد فإذا وجدت مثلا شخصا في تعامله مع الآخرين ظلمه أحد أو اعتدى عليه أحد أو أخطأ عليه أحد أو هو في سيره في الطريق بالسيارة تجاوز مثلا في المشي عليه أحد وجد خطأ هنا تنظر لأثر التعامل فإن كان التعامل بالأخلاق ماذا ينعكس على روحه وإن كان التعامل سيء ماذا ينعكس على روحه لو أنه مثلا فتح النافذة ورمى كلاما قبيحا على الطرف الثاني الذي اخطأ ماذا ينعكس في روحه احتقان كدورة عدم صفاء حقد أما لو أنه مثلا تجاوز عنه وقال غفر الله لك لم يرد منه شيء في حال التجاوز ماذا يشعر في روحه سوف يشعر بصفاء في الروح وطهارة الروح فالأخلاق والصفاء يمحي الكدورات من النفس ويرتقي بالإنسان هذا مما ينعكس على روح نفس صاحب الأخلاق في تعامله في كل شيء والأثر الذي ينعكس على الآخرين **"وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"** الطرف المقابل يتأثر تأثرا كاملا عندما تريد أن تدعوا للحق بماذا تدعو له أن تدعو الناس للحق وتدعو الناس للطريق القويم يجب أن تكون أخلاقك قويمة وحسنة أما يكون الشخص سيء في تعامله ويقول شيء وتصرفه شيء آخر فهذا ينفر **"لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ"** يبعد الناس ينفر الناس من طريق الحق لذلك يجب على من يتصدى لأمور الناس في الدعوة للدين في المسجد في المأتم في التعليم الديني أن تكون أخلاقه معلمة أيضا لا كالذين يدعون للدين ويقولون الإسلام دين الرحمة وجئناكم بالسيف والقتل أي الدين رحمة وجئنا بالسيف والقتل ليس هناك تناسب يجب أن تكون الدعوة منسجمة مع ما تدعو له في واقعه العملي أيضا فلا تعدي ولا تجاوز وإنما استقامة واخلاق أما إذا كان الإنسان بأخلاق عاليه كما يقول تعالى عن نبينا صلى الله عليه وآله **"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"** الأخلاق العالية تجلب الناس للدين التزم بالدين خذ الدروس من ذكر الرسول صلى الله عليه وآله أن تكون متأسيا حقيقة بقدر ما تستطيع كل فعل ترى الرسول صلى الله عليه وآله قام به وأصر عليه تصر عليه أنت أيضا الأخلاق والرحمة هي التي تجلب الناس للخير لا الشدة والغلظة تنفر الناس إمامنا الصادق سلام الله عليه يقول:« كونوا دعاة لنا بغير السنتكم» ادعوا الناس ولكن ليس بالكلام إذا كنت في مكان كن أعلى شخص في الأخلاق كما تنص عليه أحاديث كثيرة تكون هي الدعوة الحقيقية.

1. الاستقامة

 الاستقامة مطلوبة وكما أن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه بالاستقامة فأنت مأمور بالاستقامة درس من الدروس المهمة أن يراقب الإنسان نفسه على الاستقامة مطلوب منه أن يعرف طريق الحق أولا فإذا عرف طريق الحق أن يلتزم به وإذا التزم به يستقيم عليه فاستقم يقول الله تعالى **"فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"** لا تعتبر نفسك متقدم على غيرك هنا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وإن جرى الخطاب إياك أعني واسمعي يا جارة كما يقولون ولكن الخطاب في نفسه يشمل الجميع أن الإنسان مطلوب منه أن يستقيم ولا يطغو ولا يتجاوز ولا يغتر بهدايته بل لا يرى نفسه أفضل من غيره حتى من المنحرفين مطلوب منك أن تستقيم استقم تلتزم عرفت الحق تلتزم بالحق وتداوم عليه وتدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقك للثبات والاستقامة وحسن العاقبة ولا يدخل الغرور في نفسك فتقول أنا أحسن من ذاك المنحرف ليس لأحد أن يتفاخر على أحد وظيفتي أن أدعو و أن أأمر وأنهى وذاك عنده خطأ حسابه على الله.

1. الحوار مع من تختلف معه والدعوة للحق

 **"وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"** الحوار والنقاش والدعوة لها أساليب كثيرة وأساليب جيدة وأساليب حسنة لا تأخذ الحسن وخذ الأحسن منها ما يكون هو الأفضل اعمل به في حوارك مع الناس مع من تختلف معه فضلا عن من تتفق معه إذاً الحوار مع الأخ من اتفق معه بالأحسن ومن اختلف معه بالأحسن يعني علاقتي مع الآخرين في جميعها أتوخى الأحسن فإن وجدت في أي حديث وفي أي حوار وفي أي نقاش وفي أي نصيحة أكثر من أسلوب وأكثر من طريق اختار الأفضل لا أقول بيني وبينه بيانك ما يقولون ليس بيني وبينه حاجز أتكلم وأجرحه لا، لا أجرح أخ و لا أجرح ولد و لا أجرح زوجة و لا العكس الكل يجب أن يكون محترما في حواري و نقاشي و نصيحتي و توجيهي له و لا أرى نفسي أفضل منه خطأ أراه عنده و أرى نفسي مستقيما و أرجوا القبول في ما أنا عليه.

1. فن الحوار

فرض الخطأ عند الطرفين في الحوار مهم عندما تختلف مع أحد وتريد أن تنصحه لا تقل له بهذا الأسلوب الذي نأخذه في بعض الأحيان اسمع حاول تفهم انظر ماذا أقول، وتصر عليه إنك أنت الحق نرى القرآن على يخاطب النبي صلى الله عليه وآله ويقول **"قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"** النبي يحاورهم ويقول أنا أو أنتم على هدى أو في ضلال يعني واحد منا على خطأ فلنتحاور بالأسلوب يفترض أن يكون هو الخطأ ويفترض أن يكون الثاني الخطأ الحوار والإحترام درس من دروس ذكرى الرسول صلى الله عليه وآله وهو الذي جاء بهذه التعاليم وأعطى منهجا في الحوار والنقاش مع من نختلف معه لا جبرة والإرهاب على القناعة ليس رغما عني أن اقتنع النبي صلى الله عليه وآله

1. عندما دخل في فتحه لحصون خيبر وغيرها ذكر في بنوده ولا يغير اسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته كل بقناعته يغير ليس جبرا بل أكثر من ذلك نجد القرآن يقول **"وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ"** مشرك لا يؤمن بما تؤمن به فأجره **"حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ"** هذا الأسلوب هو المطلوب ذكرت قصة في هذه الآية واصل بن عطاء شيخ المعتزلة إمام السنة المعتزلة في زمن من الأزمان كان المعتزلة هم العقيدة المنتشرة ويختلف معهم التوجه توجه الخوارج مر على جماعة منهم مر على جماعة من هؤلاء فأوقفوه وهو مع أتباعه وحواريه عالم ورئيس المذهب رئيس العقيدة فمر مع حواريه فأوقفوه و سألوه من أنت صادفن إياه لا يعرفونه من أنت؟ قال أنا مشرك من المشركين وسمعت أن عندكم المشرك يسمى آيات القرآن ثم يترك فقالوا قالوا له نعم فأجلسوا هو أخذوا يلقون عليه المحاضرة والكلام بعد انتهى قالوا تفضل سر على بركة الله مشى سأله المصاحب له قال له لماذا لم تقل لهم عن واصل بن عطاء أنت فلان؟ أنت عالم العلماء ورئيس المذهب ورئيس العقيدة لماذا لم تقل لهم ذلك؟ قال: لو علموا بأني مسلم قتلوني فلابد أن أقول مشرك هذه ليست الأخلاق، الأخلاق الحقيقية أنه تتعامل مع المشركين هكذا فضلا عن المسلمين يعني المسلمين أن المسلمين لهم درجة أولى بالأخلاق لا تقول الأخلاق مع الكفار ومن يختلف معي مع من المسلمين أذبحه ليس هذا محتوى الرسالة ليس هذا محتوى الرسالة محتوى الرسالة الخلق العالي والدعوة الحق هو عدم الإكراه في الدعوة تدعو للخير بأسلوب خير صحيح ليس فيه التفاف وليست فيه أخطاء.

و الحمد لله رب العالمين